﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

إكمال ما ذُكِرَ سلفًا من قِصّة نوح وقومه، والتّأكيد على حمد الله المُنجي من الظَّلَمة

لمّا ذَكر الله تعالى في الآية السّابقة تكليفَ نوحٍ ﷺ بدخول السّفينة، هو ومَن معه إذا ظهرتْ علامةُ الطّوفان؛ أوحَى إليه – هنا – بما ينبغي عليه إذا تمكّن في الفُلكِ هو ومَن معه، ودارتْ بهم في الطّوفان والغَرَق، أنْ يحمد اللّهَ المُنجي الحافظ الّذي عصمهم ممّا أصاب غيرَهم من إهلاك، فهو اصطفاءٌ من الله لهم، فيه آياتٌ جليلة تستحقّ الحمدَ للجليلِ والاستمساك به.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾: (سوي) أصلٌ يَدُلُّ على استِقامةٍ واعتِدالٍ بَيْنَ شيئَين، يُقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أي: لا يُعادِلُهُ، وفُلانٌ وفُلانٌ على سَوِيَّةٍ مِنْ هذا الأمْرِ، أيْ: سَواءٍ[1]، والاستواءُ: الإقبالُ على الشَّيْء، ويأتي بمعنى: الاعتلاء، قالَ الأخْفَش: استَوى، أي: علا، ويَقول: استوَيْتُ فوقَ الدّابة، وعَلى ظهر الدّابة، أي: عَلَوْته[2]، والاسْتِواءُ كذلك: الاسْتِقْرارُ، قالَ تعالَى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: 44]، ويأتي بمعنى: الانتهاء، يُقالُ: اسْتَوَى الرَّجُلُ، إذا انْتَهَى شَبابه، قالَ: ولا يُقالُ في شيءٍ مِنَ الأشياء اسْتَوَى بنفسِه، حَتَّى يُضَمَّ إلَى غيرِه، فيُقال: اسْتَوَى فلانٌ وفلانٌ، إلّا في مَعْنَى بلوغِ الرَّجُلِ النّهايةَ، فيُقالُ: اسْتَوَى[3]، والمراد بالاستواء في الآية: الاعتلاء.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوي).
(2) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 2/ 15، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 277، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سوي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيديّ، تاج العروس: (سوي).

2) ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾: (فلك) أصلٌ يَدُلُّ على اسْتِدارَةٍ في شَيْءٍ، ومِنْ ذلكَ: فلْكَةُ المِغْزَلِ بِفَتْحِ الفاءِ، سُمِّيَتْ لِاسْتِدارَتِها[1]، والفُلْكُ جَمْعٌ، لَفْظُهُ كَلَفْظِ مُفْرَدِه: السَّفينَة، يُذَكَّر ويُؤَنَّث[2]، "قال تعالى: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ [الشّعراء: 119] فجاء به مُذكَّرًا، وقال: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: 164] فأنّثَ، ويحتمل واحدًا وجمعًا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾ [يونس: 22] فجُمِع، فكأنّه يُذْهَب بها إذا كانت واحدةً إلى المَرْكَب فيُذَكّر، وإلى السّفينة فتُؤَنّث"[3]، والمرادُ بالفُلْكِ في الآية: اسمٌ لمَرْكَبِ البَحْرِ، واسمُ جَمْعٍ لهُ بِصيغَةٍ واحِدَةٍ.

3) ﴿نَجَّيۡنَا﴾: (نجو) أصْلانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما عَلَى كَشْطٍ وكَشْفٍ، والآخَرُ عَلَى سَتْرٍ وإخْفاءٍ[4]، وأصلُ الإنجاء: الانفصالُ مِنَ الشَّيء، ومنه: نَجا فلانٌ من فلانٍ، وأنْجَيْتُهُ ونَجَّيْتُهُ، قال تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النّمل: 53][5]، والنَّجاةُ: الخَلاصُ ممّا فيهِ المَخافَةُ، ونَظيرُها السَّلامَة، والتَّنْجِيَةُ: الإنْجاءُ، وهوَ جَعْلُ الغَيْرِ ناجيًا[6]، والنَّجْوَةُ والنَّجاةُ: المكانُ المُرتفِع المُنفصِل بارتفاعه عمّا حولَه، وقيل: سُمّيَ لكونه ناجيًا منَ السَّيْل، ونَجَّيْتُهُ: تركتُه بنَجْوة، وعلى هذا: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: 92][7]، والمقصود بالتَّنْجِيَةِ مِنَ القَوْمِ الظّالِمينَ هنا: الخلاصُ مِنْ أذاهُمْ.

4) ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (ظلم) أصْلٌ يَدُلُّ على وضْعِ الشَّيْءِ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ، كَقَوْلِهم: ظَلَمَ الأرْضَ، إذا حَفَرَها في غَيْرِ مَوْضِعِ حَفْرِها[8]، والظُّلْمُ: المَيْل عنِ القَصد، والعَرَب تَقولُ: الزَمْ هذا الصَّوْبَ ولا تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا، أي: لا تَجُرْ عَنهُ[9]، وضِدُّه: العَدْلُ، والظُّلامةُ: مَظْلِمتُكَ تطلُبُها عندَ الظّالم، وظَلَّمتُه تظليمًا، إذا أنْبَأْتَهُ أنَّه ظالم[10]، "والظّلْمُ في اللّغة:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (فلك).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم: (فلك).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (فلك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نجو).
(5) الرّاغب، المفردات: (نجو).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (نجو)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 130.
(7) الرّاغب، المفردات: (نجو).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ظلم).
(10) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (ظلم).

أخذُكَ حقَّ غيرِك، وتَعدّيكَ إلى ما لا يجب لك، ولذلك لم يَجُزْ أن يوصف اللّه ﷻ به؛ لأنّ الأشياء كلّها له، فهو يفعل فيها ما يريد، كما يفعل المالكُ للشّيء، فيبطل بذلك قولُ القَدَريّة، تعالى اللّهُ عن مقالتهم"[1]، والظُّلم في الآية يَجوزُ أنْ يُرادَ بِهِ الشِّرْكُ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لُقمان: 13][2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـوجـيـهُ اللـه تعالى لنوحٍ، بأن يحمدِ اللهَ على أن أنـجـاهُ مـنَ الظَّلَمةِ المُناوئين

أرشد اللّهُ سبحانه نبيَّه نوحًا إلى ما يقوله بعد أن يستقرّ في السَّفينة، فقال ﷻ: (فإذا استقرَرْتَ - يا نوحُ - أنتَ والمُؤمِنونَ الَّذين معك على السَّفينةِ، وعَلَوتُم فوقَها راكِبينَ، فقُلِ: الحَمدُ للّهِ الَّذي خلَّصَنا مِنَ القَومِ المُشرِكينَ)[3]؛ ذلك أنّ نجاة نوح ﷺ من ذلك الطّوفان المُطبق، تُعتبر معجزةً خالدة وباهرة، لا يُنكِرُها ذو لُبّ رشيد، ولا ذو فهم سديد.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة (الفاء) في سياق الآية:

الامتثال لمرضاة الـلـه، يفضي إلـى السّكينة والثّبات

الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ﴾ تفريعٌ على قوله: ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا﴾ [المؤمنون: 27]، فالاستواءُ عليها مُترتّبٌ على السّلوك فيها[4]، وكِلا الفعلين المكوّنين لسياق الشّرط، يُمثّلان جزءًا أصيلًا منَ المشهد المُكَوِّن للمفاصل المُهمّة لهذه القصّة الإعجازيّة الخالدة.

سِرّ ورود (إذا) المُتضمِّنَة معنى الشّرط:

طمأنةُ نوح ﷺ ووعدُه بالنّجاة، من بيان السّياق المُفصِح

(إذا) في قوله: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ﴾، ظرفٌ لما يُستقبل منَ الزّمان، متضمِّنٌ معنى الشّرط، وهو يفيد تحقيقَ الاستواءِ المذكور، فهو واقعٌ

(1) الدّانيّ، الفرق بين الضّاد والظّاء في كتاب الله ﷻ وفي المشهور من الكلام، ص: 66.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 47.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 37، والسّمعانيّ، تفسير القرآن: 3/ 472، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 119، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 29.
(4) القُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 165.

لا محالة، وتحقيق الشّرط مستفادٌ من أداة الشّرط: (إذا)، ومن ماضويّة فعلِ الشّرط: ﴿ٱسۡتَوَيۡتَ﴾، أي: إذا تمّ استواؤكَ على الفُلْك وتحقّق، فاحمد اللّهَ على تمام نعمته عليكَ في الإنجاء، ومجيءُ النّظم على أسلوب الشّرط؛ لإفادة أنّ تكليفَه بالحمد، مُستحَقٌّ واجبٌ في مُقابِل استقرارِه في السّفينة، أي: أنّ الاستواء في الفُلك نعمةٌ تستحِقّ الشّكرَ، وتستوجِبُ الحمدَ[1].

دلالة العدول عن لفظ (الاستقرار) إلى (الاستواء):

الاستواء اعتلاءٌ وظهور، وهو أمكنُ في الدّلالة عنِ المراد

لم يقل في السّياق الكريم: (فإذا استقررت)؛ لتعديّته بحرف ﴿عَلَىٰ﴾ دون (في)؛ لإفادة أنّ لهم جُهْدًا طولَ فترةِ بقائهم في السّفينة؛ فإنّ الاستواء على الشّيء يقتضي مجهودًا لاستدامة التّمكّن منه، وفي ذلك إلماحٌ لقوّة الطّوفان وزلزلته، بخلاف الاستقرار في الشّيء، فإنّ فيه إحاطَةً وانْدِماجًا، يُعفي منَ المجهود، أو يُخفِّف منه، فهو دالٌّ على درجةٍ أعلى من الأمن والرّاحة، وقد يكون الاستواء بمعنى الارتفاع، قال الخليل: دخلنا على أبي ربيعة الأعرابيّ، فقال لنا: (استووا)، أي: ارتفعوا[2].

بلاغة المجاز المُرسل في الآية الكريمة:

الاستواءُ هو خيرُ أحوالِ الإنسان، ولذلك آثَرَه السّياقُ في البيان

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ﴾، أطلقَ الاستواءَ وأراد به الاستقرارَ، بقرينة قوله: ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [المؤمنون: 27]، فالاستواء مجازٌ مرسل، بعلاقة الإطلاق والتّقييد، وملائمُ المجازِ تعديّتُه بحرف الاستعلاء، فهو مناسِبٌ للاستواء، ومُرشِّحٌ لمجازه[3].

نُكْتَةُ ورودِ الضّميرَين في ﴿ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ﴾:

إطالةُ الخطابِ بالضّمائر، في سياق البشائر

﴿أَنتَ﴾ في قوله: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ﴾ ضميرُ رفعٍ منفصلٌ، مؤكِّدٌ لضمير الخطاب المتّصلِ بالفِعل: ﴿ٱسۡتَوَيۡتَ﴾، وفي التّأكيد

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 71.
(2) السّمعانيّ، تفسير القرآن: 3/ 472.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 47.

زيادةُ تشريفٍ لنوحٍ ﷺ، ومبالغةٌ في تحقيق إنجائه، وإظهار الامتنان على شخصه[1].

موقع جملة ﴿وَمَن مَّعَكَ﴾ ممّا قبلها:

معيَّةُ الصّالحين مَنْجاةٌ، والمَرءُ يُحشَر مع من أحبّ

جملة ﴿وَمَن مَّعَكَ﴾ معطوفةٌ على جملة: ﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾[2]؛ للجمع بين نوحٍ ومَن معه في الشّرط المذكور، فهي على بابها في إفادة التّشريك في الحُكم، ومعيّةُ النّبوّةِ شرفٌ يرفع مَن يُنمَى إليه، ومَن يشترك معه في نسبة أو علاقة مباشرة أو غير مباشرة، وقد شَرُف قومُ نوحٍ من المؤمنين به، وليس العكسُ.

دلالة الموصول (مَنْ) في السّياق المُحكم:

نـوحٌ ﷺ كان أمـنَـةً لجميع المـخـلـوقـات، باصطفاء الله وحمايته

(مَنْ) في قوله: ﴿وَمَن مَّعَكَ﴾، لتغليب العقلاء على غير العقلاء؛ لاشتمال السّفينة على زوجين اثنين من كلِّ ما يُستطاع إدخالُه منَ الكائنات، وهي تدلّ على الإبهام والعموم[3]، والواقع أنّ خطاب العُقلاء يجعل خطابَ غيرِهم تبعًا لهم، وخاصّةً أنّ السّفينة المصنوعةَ بأمر الله تعالى، قد ضمّت من كلّ زوجين اثنين، منَ الحيوانات والزّواحف والطّيور، وأصبحت أصلًا للحياة الجديدة، ممّا تأهّل به نوحٌ ﷺ لكي يصبحَ آدمَ الثّاني.

دلالةُ لفظ المعيّة (مع):

المـعـيّـةُ تُـفـيـد الاجـتـمـاع المـكـانيّ، بقرينة ذِكْر المكان

أداة الجرّ (مع) في قوله: ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾، على بابها في إفادة المصاحبة والاجتماع، وهي متعلّقةٌ بمحذوف صلةٍ لـ (مَن)، أي: مُستوٍ معك، أو كائنون معك، والمعيّةُ هنا تُفيد الاجتماعَ المكانيّ، بقرينة قوله: ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾[4].

---

(1) صافي، الجدول: 18/ 172.
(2) صافي، الجدول: 18/ 172.
(3) السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 129.
(4) الرّاغب، المفردات: (مع)، وصافي، الجدول: 18/ 172، والسّامرائيّ، معاني النّحو: 2/ 220.

دلالة الحرف ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾:

﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾؛ لإفادة الاستعلاء المكانيّ، وهو استعلاء حقيقيٌّ؛ لأنّهم محمولون على ظهر السّفينة، وهي حاملةٌ لهم، ولا يخفى ما فيه من إفادة تمكّنهم منها، وظهورهم فوقَ مَتْنِها، فهم راؤون للماء حولَها؛ لأنّهم ليسوا محجوبين في داخلها، بحيثُ يغيبون عن ملاحظة ما يجري حولَها[1].

مطالعةُ الطّوفان على متن الفلك من مشاهد الإعجاز

نُكْتَةُ إيثارِ لفظ ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ دون غيره:

أوثِرَ التّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ دون غيره في قوله: ﴿عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾؛ للإشارة لعودتها إلى محلّ اليابسة بعد انقضاء الطّوفان، ففيه دلالةٌ إلى بلوغها غاية الإنجاء وتمامه، وتوجيه ذلك: أنّ لفظ الفلك دالٌّ على الاستدارة، وهي متصوَّرةٌ فيها؛ لذهابها وعَوْدها في الماء؛ تشبيهًا لها بالمتحرّك دائريًّا؛ لأنّه يعود إلى نفس النّقطة التّي بدأ منها على سطح الدّائرة، فكذلك الفلكُ تدور في الماء ذهابًا وعودة، وقيل: لأنّ الفلك مستديرةٌ في هيئتها تجوّزًا، فتصميمها ينحو نحوَ الاستدارةِ ويقُاربُها[2].

لفظ الفُلْكِ مُؤذِنٌ ببلوغ الإنجاء وإتمام الغاية

دلالة (الفاء) في جواب الشّرط:

الفاء في قوله: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ رابطةٌ للجواب بالشّرط، واقترانُها بالجواب في هذا الموضع واجبٌ؛ لأنّ الجواب جملةٌ طلبيّة، ولا يَصِحّ وقوعُه شرطًا، ومعنى الفاء: السّببيّةُ والتّأكيد، فهي دالّة على أنّ الأمر بالحمد مُسبَّبٌ عنِ الشّرط، ونتيجةٌ عنه وجزاءٌ عليه، وهي لتأكيد الأمر وتحقيقِ مضمون الطّلب بالتّحميد لله[3].

جزاءُ الإغاثةِ الحمْد، واعتبارُ النّاجي بمعجزةٍ، أنّه لله عبد

دلالة فعل الأمر ﴿فَقُلِ﴾ في السّياق:

لم يقل في السّياق الكريم: (فاحمَدِ اللّه)، بل أمر أن يكون

الحمدُ جارٍ في القلب اعتقادًا، ومـلـفـوظٌ باللّسان امتثالًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 47.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (فلك).
(3) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 106.

الحَمْدُ مَقولًا؛ لتأكيد تحقيقه وتقريره، بإجرائه على اللّسان؛ ليدلّ على أنّه أُريدَ أن يكون حمْدُ الله ذِكْرًا، يجري ترديدُه على الألْسُن؛ إشارةً بذلك إلى معنى الاعتراف والإقرار، وهو أبلغ من (فاحمد الله)؛ لأنّه لا يتضمّن الإعلانَ والاعترافَ نصًّا مَقولًا، وللدّلالة على أنّ المراد بالحمد الثّناءُ على الله سبحانه بما نجّى ولَطَف، والثّناءُ يكون قولًا يستتبع العملَ والطّاعة، الّذي هو معنى الشّكرِ، فالشّكرُ بالعمل لازمٌ عنِ الحمد بالقول.

دلالة ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ على (الإنجاء) دون (الإهلاك):

المنافع الحاصلة، والمواهبُ الكاملة، أوْلى ما تعلّق به الحمدُ وأجدر

لم يَقُلْ في السّياق الكريم: (فَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَهْلَكَ الظّالِمينَ)؛ لأنّ الأصل في الحمد أن يكون على إيجاب النّعمة، فيتعلّق بالمنافع الحاصلة، والمواهب الكاملة؛ لأنّ المنفعةَ تُؤذِن بزوال المَضرّة، ولأن التّلذّذَ بالمنافع غيرُ حاصلٍ، والمضرّةَ موجودةٌ، فوجودُ المنافع يدلّ على دفع نظائرها في المضارّ، بخلاف العكس، ولذا كان تعليق الحمد بالإنجاء أبلغَ من تعليقه بالإهلاك؛ لأنّه لن تكون نجاةٌ منَ الظّالمين إلّا بهلاك الظّالمين، وفيه مراعاةُ كمالِ الأدب، بِذِكْر الحسَن الجميل، والإعراض عنِ السَّيِّئ القبيح، لاسيّما إذا كان مصيبةً كالإهلاك، كأنّه يُعلِّم النّاسَ ألّا يكون حمْدُهم شماتةً أو تَنَدُّرًا، فنزّه تعليقَ الحمدِ بالسّلب.

وأيضًا: لِعدم صِحّة تعلُّق الحمدِ بالإهلاك من حيثُ حقيقةُ الإهلاك؛ لأنّ الحمد يتعلّق بالنّعمة الواصلة للحامِد، والإهلاك ليس نعمةً في ذاته، بل في أثره، من حيثُ إنّ فيه تخليصًا لأهل الأرض من شُؤم عقائدِهم وأعمالهم، واستمرارِ إفسادهم، ولذا صَحّ الحمدُ عليه من هذه الحيثيّة، لا من حيثُ هو هو، في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: 45]، ولعلّ هذا هو سِرّ تأخير الحمد هنالك، والتّذييل به دون تصديره كما هو هنا؛

لأنّ التّذييل بالحمد بعد الإهلاك في سورة الأنعام، وعطفَه بالواو دونَ الفاء، وإيرادَ النّظمِ على غير أسلوب الشّرط هنالك، يدلّ على أنّ الحمد ليس على نفس الإهلاك، بل على ما تضمَّنَه واستتبعه من نِعمة، بخلاف مجيء النّظم هنا على تقديم الحمد، قبل الإنجاء، وانخراطه في حيّز الشّرطيّة، فيقال فيه من التّوجيه ما سبق بيانه[1].

دلالةُ التّعبير بالموصول وصلتِه في السّياق:

التـّعـافي مـنَ الأذى يقتضـي زمـنًـا طـويـلًا، واسـتـعـدادًا صادقًا

جاء النّعت بالموصول وصلته في قوله: ﴿ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا﴾، دونَ أن يقال: (الحَمْدُ للّه المُنْجي مِنَ القَومِ الظّالمينَ)؛ لحكاية قِصّة نجاتِهم، فتوسَّلَ بالموصول إلى وصف المعرفة (اللّه) بالجملة، من الموصول وصلته، وحكايةُ قِصّة نجاتهم تقتضي الزّمنيّة الّتي في جملة الصّلة؛ لأنّها تحكي عن قصّتهم الخاصّة، وما دار فيها من أحداث تنجيّتهم، ولو عبّر باسم الفاعل (المُنجي) لأشعر بالعموم الّذي لا يختصّ بزمانهم وواقعتهم، ولكان وصفًا للمعرفة بالمفرد لا بالجملة، وفائدة التّعريفِ بالصّلة: الإشارةُ إلى عِظَم الأذى، وطولِ المُعاناة الّذي يستلزمه التّحقيقُ الزّمنيّ لإنجائهم، وتعليقِ الحمد به، فإنّ التّخليص منَ الأذى، يقتضي مُعالجةً طويلةً للزّمن، وتمهيدًا واستعدادًا بالصّبر، والجاهزيّة والمقاومة[2].

دلالة المضيّ في الفعل: ﴿نَجَّىٰنَا﴾:

تـبـدأ الـنّـجـاةُ بتجنُّب مصدرِ الـخـطـر، والتّحَصُّنِ بالله من كلّ ضرر

التّعبير بصيغة الماضي في قوله: ﴿نَجَّىٰنَا﴾ بمجرّد الاستواء على السّفينة، فيه إشارةٌ إلى أنّ تمام الإنجاء حصل بالاستواء، ذلك أنّ تحقيق النّجاة، لا يكون إلّا بتجنّب مصدر الخطر، ولا يكون ذلك إلّا بالدّخول في حيّز الأمن، وهو الاستقرار في الفُلْك.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 184، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 134، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 230، والقُونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 13/ 165.
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 124.

دلالة اسمِ الفاعل: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

اسم الفاعل يدلّ على كمال التمكّن من الوصف في السّياق

مجيءُ الوصفِ على وزن اسم الفاعل في قوله: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدّلالة على أصالة الظّلم فيهم، وتمكّنِه منهم؛ لأنّ (أل) التّعريفيّة الدّاخلة على الوصف المشتقّ - كاسم الفاعلين - تُفيد الموصوليّة، كأنّه قيل: (الّذينَ ظَلَموا)، وتُفيد الكمالَ في الوصف الدّالّ على استغراق الموصوفين لخصائص الوصف وماهيّته، أي: البالغينَ الغايةَ في الظّلم، المُستكملين لنُعوتِه وخصائِصه، فالمرادُ منَ الكمال هنا: الذَّمُّ والتّقبيحُ التّامّ لاستيفائهم كامِلَ أسبابه، ولم يقل في السّياق الكريم: (الذين ظلموا) لكون التّعبير باسم الفاعل أوجزَ وأبلغَ في الذّمّ.

نُكْتَةُ الخطابِ بالإفراد، وتلقينِ الإجابة بالجمع:

خطابُ المسؤول مُلزِمٌ لأتباعه بالتّبعِ اعتبارًا لمقامه

خطابُ اللّهِ تعالى لنوحٍ عليه السلام بالإفراد في قوله: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مُلْزِمٌ لأتْباعِهِ بالتَّبَعِ؛ لأنّ الكلام من البداية جارٍ على قصد تفريدِه واستقلاله بالخطاب أصالةً دون قومه، ولأنّه المُبلِّغ عنِ اللّه، والواسطةُ بينَه وبين قومه، فكان حَريًّا بالاستقلال، ولذا قال: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾ على خطابه دونَهم، فقوله: ﴿وَمَن مَّعَكَ﴾ غَيْبَةٌ وليس خطابًا، ولم يقل: (فَإذا اسْتَوَيْتُمْ) بخطاب الجميع؛ فكان قوله: ﴿فَقُلِ﴾ اطّرادًا على هذا الأسلوب؛ لأنّه نبيّهم وإمامُهم، فكان قولُه قولَهم، مع ما فيه من الإشعار بفضل النّبوّة، وإظهارِ كبرياء الرّبوبيّة، وأنّ رُتبة تلك المخاطبة، لا يترقّى إليها إلّا مَلَكٌ أو نَبيٌّ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفُلك والسّفينة:

لفظ الفُلكِ دالٌّ على الاستدارة، وهي متصوَّرةٌ فيها؛ لذهابها

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 185.

وعَوْدِها في الماء؛ تشبيهًا لها بالمُتحرّك دائريًّا؛ لأنّه يعود إلى نفس النّقطة الّتي بدأ منها على سطح الدّائرة، فكذلك الفُلكُ تدور في الماء ذهابًا وعودةً، وقيل: لأنّ الفُلك مستديرةٌ في هيئتها تجوّزًا، فتصميمُها ينحو نحوَ الاستدارةِ ويقُاربها[1].

السّفينةُ تدلّ على الحركة الظّاهرة على الماء، والفُلك تدلّ على مبدأ هذه الحركة وغايتِها

وأمّا السّفينة: فأصلُ مادّتها يدلّ على تنحيّةِ الشّيء عن وجْهِ الشّيء، كالقَشْر[2]، والسّفينةُ سُمّيت بذلك لأنّها تَسْفِنُ وجْهَ الماء، كأنّها تَقْشِرُهُ وتَنْحَتُه، فالسّفينةُ منَ السَّفْنِ، وهو القَشْرُ، ونَحْتُ ظاهرِ الشّيء[3].

وعليه: فالسّفينة تقال باعتبار الحركة الظّاهرة على وجه الماء، وهي حركةٌ ينتجُ عنها تنحيةُ الماء، كأنّها تَنْحَتُ فيه، وتَقْشِرُ سطحَه عن سائره، والفُلك تُقال باعتبار كيفيّة هذه الحركةِ في انطلاقها ومآلها، فهي حينما تذهب وتعود كأنّها تدور، وباعتبار هيئة الاستدارة الغالبة عليها، أو المقارِبةِ لها.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمّد جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (فلك).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سفن).
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سفن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»